الفصل الحادى عشر
الدول الاسلامية في شرقى إفريقيـــة

على الرغم من كثرة المسلمين في شرقى إفريقية، وإتصال هذا القسم مع بلاد العرب منذ القديم، وزيادة العلاقات التجارية أيام الإسلام، والانتقال الدائم بين القسمين إلا أنه لاتوجد سوى ثلاث دول إسلامية غير عربية، ومتباعدة بعضها عن بعض وذلك لأن المسلمين تكاثروا في المناطق الساحلية ولم يتعمقوا في البر الإفريقي إلا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ولأن أكثر الانتقال إنما كان إلى بلاد الصومال التي هى ضمن البلدان العربية، وإلى زنجبار التي تعد اليوم جزءاً من تانزانيا وإلى المناطق الساحلية في كل م كينيا، وتانزانيا، وكذا إلى جزائر القمر. والدول الإسلامية اليوم هى:

١ ـ الحبشـــة

ومع أن ثلثى سكان الحبشة هم من المسلمين إلا أن الشائع لدى الناس ان الحبشة بلاد نصرانية، وذات أغلبية نصرانية، وذلك لأن الحكام الذين هم من النصارى يفرضون نوعاً من الهيمنة على المسلمين هذا من جهة، ونوعاً من الاعلام من جهة ثانية هذا بالإضافة إلى الجذور التاريخية للنصرانية في هذه البلاد.

تبلغ مساحة الحبشة ١,٢٢١,٩٠٠ كيلومتر مربع. وتشغل أكثر أراضيها هضبة مرتفعة يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠م، تنتصب بين حافتى الاخدود، وهذا الارتفاع يجعلها غزيرة الأمطار فتنحدر منها الأنهار التي تغذى نهر النيل، وأشهرها النيل الأزرق، وتقل الأمطار كلما اتجهنا شرقاً، وتزرع البن، والذرة، والقطن، وتكثر تربية الحيوانات.

يبلغ عدد سكان الحبشة ٢٧ مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين بثلثى السكان، والباقى من النصارى الأقباط، وقد انتشرت النصرانية في الحبشة في القرن الثالث قبل الهجرة، ومن قبل قامت مملكة (أكسوم).

وهاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة عندما اشتد أذى قومهم عليهم، وأسلم النحاشى، ولكن من قام بعده بأمر الحبشة وقف موقفاً غير ودى بالنسبة إلى المسلمين، وهذا ماجعل المسلمين يفكرون في غزو الحبشة، وقامت عدة حملات بأوقات مختلفة، وبدأ ينتشر الإسلام في المناطق الشرقية حتى عم الأجزاء الشرقية، وقامت ممالك إسلامية وإمارات على حين تحصنت النصرانية في المرتفعات، وحدثت حروب بين أصحاب الديانتين كان النصر في أغلب الأحيان بجانب المسلمين، ولم يبق للأحباش سوى أجزاء بسيطة في أعالى الهضبة.

كان للأحباش اتصال دائم مع ملوك أوربا للعمل سويةً ضد المسلمين، وقد ظهر هذا خلال أوقات متباعدة، فعند الغزو الصليبى قدم الأحباش المساعدات وأصبح لهم دير خاص في بيت المقدس، وحرصت الحبشة على مساعدة ملك قبرص النصرانى وتحريضه على غزو مصر، وكان إثر ذلك غزو الإسكندرية عام ٧٦٧هـ وأقدمت الحبشة على القيام ببعض الأعمال التخريبية إلا أن تحرك الجيوش المملوكية قد حال دون استمرار أعمال الأحباش.

وعندما فتح المماليك في مصر جزيرة قبرص عام ٨٣٠هـ (١٤٢٧م) اتصل الأحباش بملوك أوربا للعمل ضد المماليك، وقد تجاوب مع ذلك ملك فرنسا وملك أرغونة وهدد ملك الحبشة المماليك بالقيام بغزو لبلاد العرب والأماكن المقدسة وتحويل مجرى نهر النيل.

واتصلت الحبشة بالبرتغاليين طلائع المستعمرين الذين قدموا من الجنوب بعد التفاهم حول إفريقية، ووعدت البرتغال بتقديم مساعدات للأحباش في قتالهم ضد المسلمين، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين الفريقين بعد دخول البرتغاليين إلى الحبشة عام ٩٢٨هـ (١٥٣٤م) إذ حاولوا فرض المذهب الكاثوليكي، وترك البرتغاليون الحبشة بعد هزائمهم أمام المسلمين بعد ست سنوات.

وفي مطلع القرن العاشر حملت راية الجهاد في شرق الحبشة إمارة عدل ووصل

نفوذها إلى حافة الهضبة في الوقت الذي كان العثمانيون يدخلون من الشمال بلاد العرب ليوحدوا المسلمين ويقفوا في وجه البرتغاليين وأطماعهم في المنطقة. إلا أن حكام إمارة عدل قد اضطروا فيما بعد إلى مسالمة الأحباش بعد أن هزموا أمامهم.

ثم حملت إمارة هرر راية الجهاد وأسلمت الشعوب البدوية مثل الدناقل وغيرها وشجع الهرريين وصول العثمانيين إلى المنطقة ووقوفهم في وجه الخلف البرتغالى الحبشى إذ دعموا سلطان هرر أحمد بن إبراهيم الملقب بالقرين وأمدوه بالأسلحة فاستمرت غزواتهم في الحبشة خمسة عشر عاماً، وكانت النتائج أن دخل سلطان هرر أجزاء من هضبة الحبشة، وعاد إلى الإسلام عدد من الذين سبق لهم أن تنصروا تحت ضغط الأحباش، كما بدأت قبائل الجالا الوثنية تدخل في الإسلام، كما أن هذه القبائل قد استغلت الخلاف الذي حدث بين الأحباش والبرتغاليين فشقت طريقها إلى الهضبة من الجنوب.

وازداد عدد المسلمين في القرن الحادى عشر الهجرى، ودخل التجار الكانميون إلى بلاد الحبشة فأسلم على أيديهم كثيرون، واتجه المظلومون من الأحباش إلى عدالة الإسلام، وكان المسلمون من الأحباش ذوى مكانة اجتماعية وثقافية وخلقية، معروفين بالجد في العمل والأمانة في المعاملة. وقد عرف لهم هذا الأحباش حتى الذين كانوا على غير دينهم غير أن بعض المتعصبين من النصارى كثيراً ماكانوا يسيئون إلى المسلمين، ويصرون على إقصائهم عن الوظائف الرسمية، ومع هذا فقد وجد الإسلام طريقه إلى قلوب كثير من الزعماء، وكان أحد رؤوس من نواب الملك في القرن الثالث عشر مسلماً وهو (الرأس على)، وفي عهده تحول نصف أهالى الولايات الوسطى إلى الإسلام.

واهتم المهديون في السودان بالإسلام في الحبشة، واتخذون بلدة (القلابات) في شرقى السودان مركزا للدعوة، ورغم الاجراءات الصارمة التي اتخذها ملوك الحبشة النصارى ضد المسلمين فقد دخلت قبائل كاملة في الإسلام وكانت من قبل تدين بالنصرانية، وقد أثار هذا حفيظة الحكام الأقباط فأصدر الملك عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) قراراً يجعل التعميد إجبارياً للسكان سواء أكانوا من النصارى أم من المسلمين. وقد أجبر أكثر من خمسة وخمسين ألفاً من المسلمين على التعميد، وأخرجت ألوف أخرى من منازلهم، وأبيدت جماعة ثالثة.

مات الملك يوحينا عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م)، وخلفه منليك الثاني فاستعان بنفوذ الأوربيين ليبتلع الإمارات الإسلامية التي تقوم على الأرض التي تشكل اليوم جزءاً من الحشبة في هرر، والأوغادين وغيرها.

إن افتتاح قناة السويس جعل الدول الأوربية تتطلع للسيطرة على شرقي إفريقية، فعملت على استرضاء الملك منليك الثاني ومده بالسلاح فأمعن في قتل المسلمين. وعندما قسم شرقي إفريقية أعطى حرية العمل بل والدعم لضم منطقة الأوغادين وهرر من الصومال إلى الحبشة.

أما إيطاليا فقد وقفت موقفاً آخر في علاقتها مع الأحباش، فادعت شراء ميناء عصب عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م)، واستولت على مصوع عام ١٩٠٣هـ (١٨٨٥م)، ووقعت الحرب بين الأحباش والطليان، وانتصرت إيطاليا، ثم هزمت عام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، واعترفت باستقلال الحبشة التي قبلت في عصبة الأمم عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م)، إلا أن إيطاليا لم تترك الحبشة نهائياً فعندما قام الحكم الفاشي فيها أيام موسوليني هاجم الحبشة. وتمكن الجيش الإيطالي من دخول العاصمة أديس ابابا عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، وفر أمبراطور الحبشة (هيلاسلاسي) إلى بريطانيا، وأعلن ملك إيطاليا نفسه امبراطوراً على الحبشة.

عاد هيلاسلاسي عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) إلى البلاد مع القوات البريطانية الزاحفة على الحبشة لقتال الإيطاليين ولينظم الإمبراطور مقاومة حبشية تؤازر القوات البريطانية في قتال الطليان، وهزمت إيطاليا، وعاد هيلاسلاسي أمبراطوراً للحبشة.

تمكن منليك الثاني بدعم الأوروبيين أن يؤسس الإمبراطورية الحبشية بعد أن استولى على الامارات الإسلامية، وقد سار على طريقة وحشية مع المسلمين، وتوفي عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م)، وخلفه حفيده (ليج اياسو)، وقد اعتنق الإسلام، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وقف بجانب الأتراك بحكم صلات العقيدة، وفي عهده رفع الظلم عن المسلمين، أما النصارى الأحباش فيقولون: إن «ليج اياسو» كان مفتوناً بالإسلام، إذ لم يعترفوا بإسلامه، وعدوه خائناً وطنياً، وأعلنوا الحرب عليه، وبرأ البابا زعماء النصارى من قسم الطاعة للإمبراطور، ونتيجة ذلك حدث انقلاب عليه عام ١٣٣٦هـ (١٩١٨م)، وتولت الحكم بعده

ابنة منليك الثاني (زاوديتو)، وأصبح (رأس تافارى) وصياً على العرش، ثم توج ملكا عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م)، وإمبراطوراً عام ١٣٤٩هـ (١٩٣١م) إثر وفاة (زاوديتو)، وحمل اسم (هيلاسلاسى).

منح الامبراطور (هيلاسلاسى) بلاده الدستور عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، وأسس مجلساً نيابياً له صفة الاستشارية فقط، أما الحاكم الحقيقى فهو الامبراطور. وهو من قبيلة (امهرة) التي عدّت القبيلة الحاكمة، وغدت لغتها اللغة الرسمية، كما أن النصرانية هى دين الدوة في الحبشة.

سار هيلاسلاسى في سياسة معادية للإسلام أشد المعاداة فلم يكن بين وزرائه سوى وزير واحد لاوزن له في مجلس الوزراء مع ان المسلمين يشكلون ٦٧٪ من السكان، ولم يكن للمسلمين أي نصيب في الخارجية، والمناصب العليا، والضباط الكبار، ولم تزد نسبتهم بين صغار الضباط على ٢٪. وأغلق مراكز الثقافة الإسلامية، ومنع تعليم اللغة العربية، وألزم المسلمين بدفع جزية للكنيسة باسم «منفسى كوبى» أى الدخل الأدبى، وأمر بتشييد الكنائس عند مداخل القرى الإسلامية ليوهم الغرباء عن المنطقة أن القرية أو تلك الجهة نصرانية. وقد أسلم زعيم قبيلة (غويه) وأفراد قبيلته الذين يقيمون في ناحية (سيدامو) فألقى كبارهم في السجن، وأذيقوا مر العذاب، ولم يفرج عنهم حتى أعلنوا عن ردتهم، فأعيدت لهم ممتلكاتهم التي حجزت عندما أشهروا إسلامهم. وفر سلطان (غراد) إبراهيم سابو زعيم قبيلة (غوتى)، والتجأ إلى الصومال، بعد أن عذب سبعة أشهر، وكذلك فر زعماء بارزون غير الذين فتنوا بدينهم ـ نعوذ بالله ـ واضطرت مدينة هرر للقيام بثورة عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) فأصابها الدمار والحزاب والويل وانتهاك الحرمات، وألغيت المحاكم الشرعية عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م). ولم يختلف الأمر عندما حدث انقلاب ضد هيلاسلاسى إذ أن (منغستومريام) يسير على الخط نفسه في عدائه للإسلام ومحاربته للمسلمين.

أما اريتريا فإنها المنطقة الساحلية، ولما كانت هضبة الحبشة التي يعتصم النصارى فيها فإنها تقترب في الشمال من المنطقة الساحلية، ولما كان سكان الساحل من المسلمين، وسكان أعلى الهضبة من النصارى لذا فان الاختلاف تم، والتباين قد وضح فكان كل قسم يسير في خط، ولما حاول الطليان احتلال الحبشة

كانوا قد احتلوا اريتريا وتمركزوا فيها، ولما هزمت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وضعت مستعمراتها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ومنها اريتريا على حين أعلن استقلال الحبشة، وكلفت انكلترا لإدارة اريتريـا من قبل الأمم المتحدة، وفي عام ١٣٧٠هـ (١٩٤٩م) نقلت إلى السلطات الحبشية إدارة ارتيريا بموجب قرار صدر عن الأمم المتحدة دون علم سكانها، وبالفعل فقد تم تسليم اريتريا للحبشة عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) على أن تتمتع بالحكم الذاتي في ظل اتحاد (فيدرالى) يضم إريتريا والحبشة تحت التاج الحبشى. ولكن هذا الاتحاد تحول إلى دمج وابتلاع عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) الامـر الذي أدى إلى قيام ثورة في الحبشة، ولاتزال مشتعلة إلى الآن.

٢ ـ تانزانيـا

لمحـــة جغرافيـــا :

تبلغ مساحة تانزانيا مليون كيلو متر مربع، ويسكنها مايقرب من أربعة عشر مليوناً، وأكثر السكان الأصليين من الزنوج والأقزام ـ ثم جاءت موجة من قبائل البانتو من الشمال، وغدوا يؤلفون القسم الأعظم من السكان ومن أهم قبائلهم (الماسـاى) و(النـانـدى). كما جاءت أعداد من العرب وأقامت مراكز لها على الساحل، وأخيراً جاء عدد من الهنود والإيرانيين.

وتتألف أرض تانزانيا من:

١ ـ السهل الساحلى: ويترواح عرضه ١٥ـ٨٥ كيلومتراً، ويضيق في الشمال والجنوب.

٢ ـ الهضبـة الـوسـطى: وتـرتفع بعد السهل الساحلى، ويصل ارتفاعها إلى ١٤٠٠م، وتقبع فوقها بعض الجبال البركانية التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٦٠٠٠م.

٣ ـ نجد مرتفع: وهو جزء من مرتفعات إفريقية الشرقية وتنتشر فيه البحيرات مثل: بحيرة فيكتوريا، وتنجانيقا، ومالاوى.

وتوجد قرب الساحل ثلاث جزر هى: زنجبار، وبمبا، ومافيا.

ويختلف سكان الجزر عن سكان الداخل من حيث الأصل والعقيدة، فسكان

زنجبـار التي تتـألف من جزيرتى زنجبار وبمبا من حيث الأصل نلاحظ أنهم يتألفون مما يلي:

١ ـ شيرازيون	ويؤلفون ٥٦٪ من مجموع السكان	وعددهم	٢٨٠,٠٠٠
٢ ـ عرب	ويؤلفون ٢٠٪ من مجموع السكان	وعددهم	١٠٠,٠٠٠
٣ ـ إفريقيون	ويؤلفون ١٨٪ من مجموع السكان	وعددهم	٩٠,٠٠٠
٤ ـ هنود	ويؤلفون ٦ ٪ من مجموع السكان	وعددهم	٣٠,٠٠٠
٥ ـ أوربيون	ويؤلفون ـــــ		٠,٥٠٠
	٪١٠٠		٥٠٠,٥٠٠

أما من حيث العقيدة فنجد مايلي:

١ ـ مسلمون	وسبتهم ٩٠٪	وعددهم	٤٥٠,٠٠٠ نسمة
٢ ـ نصارى	ونسبتهم ٤ ٪	وعددهم	٢٠,٥٠٠ نسمة
٣ ـ وثنيون	ونسبتهم ٤ ٪	وعددهم	٢٠,٠٠٠ نسمة
٤ ـ هندوى	ونسبتهم ٢ ٪	وعددهم	١٠,٠٠٠ نسمة
		٥٠٠,٥٠٠	نسمة

أما سكان الداخل (تنجانيقا) فنلاحظ مايلي :

١ ـ إفريقيون	ويؤلفون ٩٧,٦٪	وعددهم	١٣,١٩٦,٠٠٠
٢ ـ هنود	ويؤلفون ١,٢ ٪	وعددهم	١٥٢,٠٠٠
٣ ـ وثنيون	ويؤلفون ٠,٨ ٪	وعددهم	١٠١,٤٠٠
٤ ـ أوربيون	ويؤلفون ٠,٤ ٪	وعددهم	٥٠,٦٠٠
	٪١٠٠		١٣,٥٠٠,٠٠٠

أما من حيث العقيدة فنلاحظ مايلي:

١ ـ مسلمون	ونسبتهم ٦٠٪	وعددهم ٨,١٠٠,٠٠٠ نسمة
٢ ـ نصارى	ونسبتهم ٢٧٪	وعددهم ٣,٦٤٥,٠٠٠ نسمة
٣ ـ وثنيون	ونسبتهم ١٣٪	وعددهم ١,٧٥٥,٠٠٠ نسمة
	٪١٠٠	١٣,٥٠٠,٠٠٠

واللغة الرسمية في تانزانيا هي الانكليزية، وتعد السواحليـة هى اللغة الشعبية، ثم تأتى اللغة العربية والتي أثرت على السواحلية حتى أن ثلثى مفردات الأخيرة من أصل عربى، ولا تكد تمر على سطر واحد باللغة السواحليـة إلا وتجد فيه كلمات عربية. وتكثر اللغة العربية في المناطق الساحلية وبعض المراكز الداخلية التي يكثر فيها المسلمون مثل: (عروشه) و(طابوره). وكانت زنجبار مركزاً للعربية وثقافتها بالنسبة لشرقى إفريقية كله، ثم ضعفت بمزاحمة الانكليزية لها. وإلى جانب ذلـك هنـاك لغـات محلية تتكلمهـا بعض القبـائـل مثل: (الماساى) و (الشامبولا) و(نيامويزى) و(جندا).

وتـانـزانيا بلاد زراعية تنتـج البطاط، والأرز، وهما غذاء السكان، والنخيل الزيتى، وجوز الهند، والسيزال، والكاكاو، وقصب السكر، والموز، والقرنفل، والبطن، والقطن.

وتوجد فيها بعض المعادن مثل: الماس، والذهب، والفضة، والقصدير.

تاريخ تانزانيـــا :

قامت صلات تجارية بين العرب وشرقى إفريقية من قديم، فلما انتشر الإسلام في بلاد العـرب انتقل إلى شرقى إفريقية مع أفراد وأسر قليلة، وتزايد انتقال المسلمين إلى شرقى إفريقية نتيجة الأحداث والظروف السياسية، واجتذبتهم إليها الصـلات القـديمـة، ويسر المواصلات إلى سواحلها، فقد خرجت جماعة من الخوارج أيام عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) بعد أن هزمهم المهلب بن أبى صفرة، واتجهوا نحو شرقى إفريقية، واستولوا في طريقهم على جزيرة سوقطرى، كما انتقلت جماعة من أنصار آل البيت أيام الأمويين، واستقرت في شرقى إفريقية، وفرت جماعات من الأمويين عندما دالت دولتهم على أيدى العباسيين، وكانت

نهاية مطافهم في شرقى إفريقية أيضاً. وذهبت أعداد من شيراز من بلاد فارس إلى سواحل إفريقية الشرقية وتفرقوا في أنحائها، كما هاجرت مجموعة من الإجساء في شرقى جزيرة العرب، واتخذت مقامها هناك.

استقر هؤلاء المسلمون جميعاً على طول الساحل الشرقى لإفريقية من القرن الإفريقي في شمالى بلاد الصومال وحتى مدينة (سفالة) في بلاد موزامبيق على خط عرض ٢٠ جنوباً، ولم يتاوغلوا إلى الداخل كثيراً، وكانت مهمتهم تجارية في أغلب أمرها، وإن كانت التجارة قد يسرت في كثير من الأحيان سبل الاتصال بالسكان ودعوتهم إلى الإسلام.

استطاع هؤلاء المسلمون أن يؤسسوا مراكز تجارية كبيرة من أشهرها «كلوة» و «دار السلام» و «سفالة»، وقد زار هذه المراكز الرحالة المسلم «ابن بطوطة»، ووصفها وصفاً جميلاً، كما أعجب بهذه المدن البرتغاليون عندما جاءوا مستعمرين نظراً لنظامها ونظافتها.

أسس المسلمون في هذه المناطق إمارات وممالك متعددة، ولم تكن ـ مع الأسف ـ متحدةً فيما بينها الأمر الذي جعلها ضعيفة لاتثبت طويلاً أمام قوة البرتغاليين الذين كانوا طلائع المستعمرين في تلك الجهات. ومن أشهر هذه الممالك مملكة الزنج التي تأسست في القرن الرابع، وكانت حاضرتها مدينة كلوة ففي جنوبى تانزانيا اليوم، وقد استطاعت هذه المملكة أن تنشر الإسلام في كل مما يسمى اليوم «زامبيا، وموزامبيق، ومالاوى» وبلغت جهودها في هذا السبيل روديسيا.

جاء البرتغاليون مستعمرين في مطلع القرن العاشر الهجري فاستولوا على زنجبار عام ٩٠٩هـ ١٥٠٣م)، واحتلوا مدينة كلوة عام ٩١١هـ (١٥٠٥م)، وأظهروا حقدهم الدفين، فقتلوا السكان، وأحرقوا الأبنية، وخربوا المدن، ولقد كان في مدينة كلوة ثلاثمائة مسجد دمر معظمها بأيدى البرتغالين مجرد أن دخلوا المدينة.

انسحب البرتغاليون من أكثر مناطق شرقى إفريقية إثر هزيمتهم، وكانت القوى التي هزمتهم، انكلترا منافسةً لهم، والعثمانيون الذين دخلوا البلاد العربية ليحولوا دون أطماع البرتغاليين وأهدافهم في دخول الأماكن المقدسة الإسلامية،

وعمان التي قاتلت البرتغاليين دفاعاً عن الإسلام ومصالحها. وفي أيام سلطان عمان سيف بن سلطان الذي استطاع أن يقضى على نفوذ البرتغاليين في جميع المناطق الواقعة شمال موزامبيق دخل المذهب الأباضى إلى شرق إفريقية، وأصبح شرقى إفريقية يتبع عمان، إلا أن نفوذ العمانيين قد ضعف مع الزمن.

وفي عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) نقل سلطان عمان سعيد بن سلطان عاصمته من مسقط في عمان إلى زنجبار في شرق إفريقية لتقوية نفوذه هناك. وعندما توفي عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) قسمت مملكته بين ولديه، وكان القطاع الافريقي من نصيب ابنه ماجد الذي استمر حكمه حتى عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م). وكان المسلمون قبل الاحتلال البرتغالي يلزمونه ولا يتعدونه إلى الداخل إلا موقتاً إما للتجارة أو للدعوة ثم لايلبثون أن يعودودا إلى مراكزهم الساحلية، وقد أدركوا فيم بعد خطأهم في عدم توفير عمقٍ استراتيجى لهم يمكنهم من مقاومة الهجوم عليهم وقد شرع المسلمون يغيرون طريقتهم بعد خروج البرتغاليين، فنقل من أجل ذلك السلطان ماجد بن سعيد عاصمته من زنجبار إلى دار السلام، وبدأ المسلمون يتوغلون في الداخل حيث أصبحوا يقيمون لهم مراكز دائمة للدعوة والتجـارة والإدارة، وكان رؤساء القبائل الإفريقية في تلك البقاع يدفعون لهم الجزية أو يدخلون في عهد معهم، ومن ثم انتقل المسلمون إلى زائير ونشروا دينهم ولغتهم. ومع اتساع نفوذ الإسلام السياسي هناك زاد انتشاره.

وضعف الحكم العربي الإسلامي في شرقى المنطقة عندما توفي ماجد بن سعيد إذ خلفه أخوه الصغير «برغش بن سعيد» وفي الوقت نفسه أخذت السياسة الاستعمارية تنفذ، وتعمل على تقسيمها بين الدول الاستعمارية الكبرى.

أخـذت انكلترا زنجبـار، وأخذت المانيا تنجانيقا، وزاد ضعف دولة زنجبار وسيطرتها على ممتلكاتها بموت «برغش بن سعيد» عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م)، وقد شهد تقسيم بلاده في حياته، وخلفه «سيد خليفة». ولما هزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وقسمت مستعمراتها على الحلفاء المنتصرين كانت تنجانيقا من نصيب انكلترا بعد أن وضعت تحت وصاية عصبة الأمم.

استقلت تنجانيقا عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) وأصبحت ضمن رابطة الشعوب البـريطانية (الكـومنـولث)، أمـا زنجبـار فقد توفي سلطانها «سيد خليفة» عام

١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وخلفه ابنه «جلمشيد بن عبدالله خليفة»، وما أن تم الاستقلال عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) حتى حدث انقلاب عسكرى برئاسة (عبيد كرومى) الذي نصب رئيساً للجمهورية الزنجبارية، وخلع السلطان «جلمشيد»، ونكبت الأسرة العربية العمانية التي كانت تحكم زنجبار، وقتل ستة عشر ألفاً من العرب لأن الانقلابيين عدوا الأسرة الحاكمة مستعمرة دخيلة، وقتل معهم أربعة وخمسون ألفاً من المسلمين الآخرين.

وفي عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) انضمت زنجبار إلى تنجانيقا لتكون اتحاداً عرف باسم «تانزانيا»، وأصبح «بوليس نيريرى» رئيساً للجمهوريه الاتحادية، وعين (عبيد كرومى) نائباً لرئيس الجمهورية.

وفي عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) جرت محاولة لفصل زنجبار عن تنجانيقا، وادعت الحكومة أن المتآمرين من عرب كينيا وزنجبار، وصفت الذين أرادت التخلص منهم، ثم اغتيل (عبيد كرومى) لنفسه.

ويحكم تنجانيقا حزب الاتحاد الوطني الإفريقي الذي يرأسه (يوليوس نيريرى) رئيس الجمهورية، أما زنجبار فيحكمها الحزب (الأفرو شيرازى).

وعندما حدث الانقلاب العسكرى في أوغندا عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) وتسلم زمام الأمر (عيدي أمين) فر الرئيس السابق (يلتون أوبوتى) إلى تانزانيا، وبقي فيها، ثم اصطنع خلاف بين الدولتين الجارتين وجرت الحرب بين الطرفين دخلت إثرها تانزانيا، أرض أوغندا ونصبت على أوغنده جوزيف بن عيسى رئيساً بعد أن فر عيدى أمين واختفى في جهة من البلاد، ثم أعيد ميلتون أوبوتى رئيساً لأوغندة بعد انتخابات جرتن وبدعمٍ من تانزانيا.

٣ ـ جزر القمر

لمحة جغرافية:

تقع جزر القمر في شرقى إفريقية بينها وبين شمالى جزيرة مدغشقر وعلى بعد متساو تقريباً من كلا الجانبين يقرب من ٢٧٥ كم، وعلى عتبة بحرية لايزيد عمقها على ٣٠٠م، وهى أربع جزر هي: جزيرة القمر الكبرى أو نجزيجة،

أنجوان أو قنبالو، موحلى، مابوت. تبلغ مساحتها جميعها ٢١٧٠ كم٢، ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثمائة وخمسين ألفاً وبذا تكون الكثافة مرتفعة نسبياً ويزيد على ١٦٠ شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد. وهي كثافة كبيرة إذا قارناها مع غيرها من تلك الأمصار الواقعة في تلك الجهات. ويدين السكان جميعاً بالإسلام رغم أنه وجدت قلة نصرانية مؤلفة من رجال الإرساليات النصرانية وجماعة من مدغشقر.

تقع هذه الجزر بين خطى عرض ١١-١٢ جنوباً فهى ذات مناخ موسمي تغزر أمطارها في فصل الصيف، وتقل في الشتاء والفصول عندهم معاكسة لفصولنا بصفتها بالنصف الثاني من الكرة.

لمحـــة تاريخيـــــة:

إن أول من سكن جزائر القمر جماعة من العنصر الماليزي، ثم وصل إليها الأدوميون وهم من الساميين وذلك أيام سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، ثم توافد عليها زنوج قدموا من زنجبار في القرن الخامس، وتوالت جماعات تفذ إليهـا من إفـريقية، ومـدغشقـر، وبـلاد العرب، وقد جاء العرب من جنوبي جزيرتهم، فيقول المسعودى : إن الأرز الأباضيين قد فتحوا قنبالو (انوان) عام ٢٠٨هـ ، هذا بالإضافة إلى من جاءها من الفرس.

احتـل الـبرتغاليون جزائر القمر عام ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) بعد أن تمكنوا من الالتفاف حول إفريقية وأطلقوا على سكنها المسلمين اسم «المورو» مثل بقية المناطق التي وجدوا فيها مسلمين، ولم يجد البرتغاليون صعوبة في دخول جزائر القمر، لضعف السكان وافتراق كلمتهم، إلا أن السكان لم يلبثوا أن ثاروا على البرتغاليين بسبب القسوة التي أبدوها والوحشية التي عاملوا بها الأهالي. ونزلت في ذلك الوقت بالذات جماعة من شيراز في جزيرة القمر الكبرى وذلك عام ٩١٢هـ (١٥٠٦م) وكانت بإمرة محمد بن عيسى فاحتلت الجزيرة، وأرسل محمد هذا ابنه حسناً فنزل في جزيرة (انجوان)، واستقر فيها، ثم لم يلبث أن أسس سلطنة. إذ تزوج بابنة «فاني علي» زعيم «موتسامودو» حاضرة الجزيرة، وتلقب باسم السلطان حسن، ولما توفي خلفه ابنه محمد الذي تزوج بابنة زعيم جزيرة (مايوت) ثم ألحقها بسلطنته، ثم أضاف إليه جزيرة «موحلى» أيضاً، وأطاعه سلاطين جزيرة القمر الكبرى.

خلف محمد ابنه عيسى إلا أن أمره لم يلبث أن ضعف حيث أصبح نفوذه اسمياً على جزيرة القمر الكبرى، وعندما توفى عيسى خلفته على السلطنة زوجته «موللانه» الأمر الذي أغضب الزعماء فانتفضت جزيرة «مايوت» عليها، واستأثر بأمر (انجوان) زعيم (موتسامودو)، ففرت الملكة إلى المدينة الثانية في الجزيرة وهى (دومونى)، ومات زعيم (موتسامودو) فخلفته زوجته «فاتنة» فغدا في جزيرة (انجوان) ملكتان إحداهما في (موتسامودو) وهي (فاتنة)، والثانية في (انجوان) وهي (موللانة)، وبقى الخلاف قائماً بين المدينتين حتى أيام الملكة «عالمة» التي بنت الجامع الكبير في «موتسامودو» عام ١٠٨١هـ (١٦٧٠م).

اكتسحت جيوش جزيرة مدغشقر جزيرة (انجوان) وفتكت بأهلها، واستمر ذلك الحكم حتى قام الأمير أحمد حفيد الملكة، (عالمة) وجمع البلاد، وحكم من ١١٨٤-١١٩٩هـ (١٦٧٢-١٦٨٦م)، وفي أيامه أغارت قبائل (الساكافالا) المدغشقرية على البلاد، فاضطرب جعل الأمن، واستقلت جزيرة (مايوت) عن «انجوان»، وبعد موت الأمير أحمد خلفه الشيخ سالم الذي استمر حكمه حتى عام ١٢١١هـ (١٧٩٦م)، ثم جاء بعد ابنه أحمد، وكان صغير السن، فنازعه عمه «علوى» إلا أنه فشل ففر إلى زنجبار، ثم أعاد الكرة بعد عامين، وتمكن من خلع ابن أخيه أحمد، وتولى مكانه حتى عام ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م)، وخلفه ابنه عبدالله الذي قاتل أهل مدغشقر، وجاءه أحد المتنازعين على الحكم في مدغشقر فأكرمه، وتمكن عبدالله من احتلال جزيرة «مايوت».

جاء إلى الحكم بعد عبدالله ابنه (علوى) ولكن عمه سالماً نازعه على الحكم وهرب علوى إلى موزامبيق حيث أسره الانكليز، ونفوه إلى (كلكتا)، ثم إلى (موريشيوس)، وبقى فيها حتى مات عام ١٢٥٧هـ (١٨٤١م)، وانفرد عمه سالم بالحكم.

أما جزيرة (مايوت) فقد انفصلت اسمياً عن (انجوان) على يد صالح بن محمد بن بشير من أهل عمان، إذ تزوج بابنة سلطان الجزيرة، فلما مات السلطان خلفه صهره صالح ابن محمد، وبقيت تتبع (انجوان) اسمياً حتى احتلتها فرنسا عام ١٢٥٧هـ (١٨٤١م). وهكذا عزلت (مايوت) عن بقية الجزر التي كان يحكمها سالم، وعند موته خلفه ابنه عبد الله الملقب بالكبير، وكان صديقاً للانكليز.

ثار على عبدالله الكبير أخوه محمد إلا أنه انتصر عليه، ولكن الحروب قد هدت قواه فطلب الحماية من فرنسا عام ١٣٠٥هـ (١٨٨٧م) غير أن السكان قاموا بثورات ضد الفرنسيين ومات عبدالله مسموماً او مخنوقاً، وتولى مكانه أخوه عثمان بن سالم، ولكن أهالى مدينة (موتسا مودو) بايعوا ابن أخيه سالم بن عبدالله بن سالم، وجرى القتال بين الطرفين، فانتصر عثمان، والتجأ سالم إلى الفرنسيين، وطلب المساعدة منهم، واعترف بحمايتهم، وبقى عثمان يقاومهم أخيراً اضطر للاستسلام فنفى إلى كاليدونيا الجديد..

جىء بأحد أمراء (انجوان) وهو السيد عمر فجعل سلطاناً عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) فأمضى معاهدة مع الفرنسيين واعترف بحمايتهم على جزائر القمر عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م)، ولم يعيش السيد عمر بعدها طويلاً إذ مات بالنسبة نفسها، وخلفه ابنه «محمد بن عمر» على جزيرة (انجوان) وملحقاتها، وخلفه ابنه الآخر وهو «علي» على جزيرة القمر الكبرى.

كانت جزيرة القمر الكبى عندما جاءت فرنسا مقسمةإلى اثنتى عشرة مقاطعة لكل منها سلطان، وأكبرهم يعرف باسم سلطان (تيبه) ويخضع جميعهم له، وكان صاحب هذا النصب يومذاك السلطان أحمد، وهو أخو السيد عمر أحد وجهاء جزيرة (انجوان)، فلما مات أحمد خلفه بن أخيه (علي بن عمر) حسب وصية عمه أحمد، وكان صغير السن فلما جاء ليتسلم الأمر في جزيرة القمر الكبرى، ويخلف عمه في الأمر رفض بقية سلاطين الجزيرة الخضوع له، وثاروا عليه بإمرة السلطان، (موسى فومو) الذي أراد أن يكون مكانه، ووقعت الحرب بين الطرفين، وخرج علي منتصراً في الحرب لمساعدة جزيرة (موحلى) له، وكذا جزيرة (انجوان) إضافة إلى سلاطين بعض المقاطعات في جزيرة القمر الكبرى نفسها، كما أن انكلترا قد عرضت حمايته ولكنه رفض، وطلب من قائدالقوات جزيرة (مايوت) المساعدة والحماية، وعندها عرضت انكلترا مساعدتها لخصمه السلطان (موسى فومو) فوافق.

وأصبح الخصمان المتنازعان في الجزيرة في حماية الدولتين الاستعماريتين المتنافستين انكلترا وفرنسا.

جاء الفرنسى «هامبولت» إلى المنطقة، واقترح على حكومته مساعدة السلطان

علي، فوافقت، وعقدت معه معاهدة حماية عام ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م) غير أن الثورة اشتعلت في جزائر القمر إذ عد السلطان على خائناً لتصرفاته وخضوعه لفرنسا ولكن الثورة قد قمعت بشدة من قبل السلطات الفرنسية وذلك عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م)، وأقر السلطان علي سلطاناً على جزيرة القمر الكبرى في الوقت الذي كان أبوه عمر قد وقع معاهدة حماية مع فرنسا أيضاً، وأقرها ابنه محمد الذي خلفه على جزيرة (انجوان).

ادعت فرنسا أن محاولة جرت لاغتيال هامبلوت، واتهمت السطان علي أنه وراء المحاولة فقبضت عليه ونفته إلى (دياغو) ثم إلى (بوربون) واصبح الأمر للمقيم الفرنسي.

وفي عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) صدر قرار أصبحت بموجبه جزائر القمر مستعمرة فرنسية، وحتى ذلك الوقت لم تكن مستعمرة سوى جزيرة (مايوت)، ثم ألحقت هذه الجزر عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) بجزيرة مدغشقر، وبقيت تتبعها مدة عامين، ثم عادت مستعمرة منفصلة، واستمر ذلك حتى مابعد الحرب العالمية الثانية إذ أصبحت تحكم جمعية منتخبة مؤلفة من ثلاثين عضواً.

وفي عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) وجد مجلس حكومي مؤلف من ٦ـ٨ وزراء، ويرأس هذا المجلس أحدهم وبعد بمثابة رئيس وزراء. وكان آنذاك سيد محمد الشيخ. وتتمثل في الجمعية الوطنية الفرنسية في باريس.

وكان المجلس النيابي القماري يتألف من ٣٨ عضواً، ويرأس الحكومة السيد أحمد عبدالله، وهو رئس حزب استقلال ووحدة جزر القمر، وذلك بعد انتخابات ١٣٨١هـ (١٩٦١م)، وأصبح لفرنسا مندوب سام، وبدأت المطالبة بالاستقلال منذ عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) بشكل واسع سواء من قبل الحكومة أم من قبل المعارضة التي يمثلها الحزب الاشتراكي وحزب الحركة القومية لتحرير القمر.

جرى الاستفتاء على الاستقلال عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، ودلت النتائج على أن ٩٥,٦٥م قد أيدوا الاستقلال التام عن فرنسا، وأن ٤,٤٪ أيدوا البقاء ضمن اطار المجموعة الفرنسية كأحد أقاليم فرنسا فيما وراء البحار. غير أن جزيرة مابوت قد كانت النتيجة فيها متباينة إذ أن ٦٤٪ قد أيدوا البقاء مع فرنسا نتيجة أثر

جنوب «الماهور» الذي يتنزعمه النصراني (مارسيل هنرى).

وفي عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) أعلن المجلس النيابي القماري استقلال الجزائر القمارية عن فرنسا، إلا أن ممثلي جزيرة «مايوت» لم يحضروا، وأعلن المندوب السامي الفرنسي حالة الطوارىء، واستقدم قوة دعم كانت ترابط في جزيرة (رينون). وأعلن المجلس النيابي اختيار أحمد عبدالله رئيساً للدولة الجديدة. وقد أعلم فرنسا أن مندوبها السامى قد اصبح سفيراً لها في البلاد، واعترفت بهذا الاستقلال عدة دول، كما قبلت فرنسا الاستقلال باستثناء جزيرة «مايوت».

حدث انقلاب من حزب المعارضة «الجبهة الوطنية المتحدة» الذي يتنزعمه «على صويلح»، واختير «سيد محمد غفار» رئيسا للدولة، وقد طالبت الحكومة بوحدة الجزر القمارية بما فيها «مايوت»، ثم اسندت رئاسة الدولة الى السيد «علي صويلح» عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

لجأت فرنسا إلى الضغط السياسي والاقتصادي فقطعت المساعدات، وسحبت الخبراء والفنيين، وعدت (مايوت) إقليماً فرنسياً، وقد أجرت فيها استفتاء عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) كان لمصلحة فرنسا، وإن اعترضت عليه دولة جزائر القمر.

وحدث انقلاب عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) أطاح بحكومة الرئيس «علي صويلح»، وتولى زمام الأمر (سعيد أتوماني) وهو وزير سابق في حكومة أحمد عبدالله. ثم تولى رئاسة دولة جزر القمر الاتحادية الاسلامية أحمد عبدالله عبدالرحمن.